ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

asst.lect Ahmed Abbas Abdel Musa

General Directorate of Education ،Wasit

Email: alshmryahmdbas311@gmail.com

Keywords:

Quranic text, phonetic effect, pauses, rhythm

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 3.Apr.2024

Accepted 19.May.2024

Published 15.Nov.2024

Phonetic structure in the Qur'anic text

A B S T R A C T

In the name of Allah, praise be to Allah, and the best prayers and most complete peace be upon the best of His creation, the truthful and trustworthy, and his blessed family and chosen companions.

Now then... Allah the Almighty has honored us by making us in the nation of the last of His prophets and has blessed us with the study of His Book and the contemplation of it. The Book of Allah, whose wonders never cease and whose knowledge never runs out due to frequent repetition, is renewed in every age, and in it there is much good and widespread benefit. Scholars have striven to uncover the secret of its miracle, and from it came diverse studies and abundant research, especially in the phonetic aspect of the words of the Holy Quran. Ease and weight in keeping with different situations, and the music of the intervals had what included the pleasure of emotion and the conviction of the mind at the same time. I have sought to mention the great importance of the sounds of the Quranic word and sentence and the phonetic effect in its intervals, and the aesthetic and rhetorical meanings that it performs at the level of the Quranic word and sentence and the attractive force it creates that has puzzled the Arabs in the past and present, and has triangulated one of the secrets of this immortal book.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol57.Iss1.3894

البِنْيَة الصوتيَة في النصّ القرآنيّ

م.م. احمد عباس عبد موسى

المديرية العامة لتربية واسط

الملخص

كرمنا الله سبحانه بأن جعلنا في أمة آخر انبيائه وحبانا لتدارس كتابه، والنظر فيه. كتاب الله الذي لا تفنى عجائبه ولا ينفد علمه لكثرة الردّ متجدد في كلّ زمان فيه الخير الكثير والنفع العميم، وقد اجتهد الدارسون في الكشف عن سرِّ اعجازِه، ومنه جاءت الدراسات متنوعة والبحوث ثرة لا سيما في الجانب الصوتي لألفاظ القرآن الكريم. سهولة وثقلاً تماشياً مع المواقف المختلفة، وكان لموسيقى الفواصل ما فيه متعة العاطفة وقناعة العقل في آن واحد، وقد عمدت الى ذكر

الأهمية الكبيرة لأصوات المفردة والجملة القرآنية والاثر الصوتي في فواصله، والمعاني الجمالية والبيانية التي يؤديها على مستوى المفردة والجملة القرآنية وما تحدثه من قوة جذبٍ حيرت العربي قديماً وحديثاً، وقد مثلث أحد أسرار هذا الكتاب الخالد.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، الأثر الصوتي، الفواصل، الإيقاع

المقدمة

تنوعت المجالات التي توجهت اليها الجهود لخدمة كتاب الله العزيز، واجتهد الكثير من الدارسين والباحثين لإثبات كلّ معجزة للقرآن الكريم، ومن هذه المعجزات الكشف عن سر الفاظه وعباراته وما تضمّنته من أصوات ذات إيقاع وجرس يشدّ المتلقي إليه ومن هذا الباب وخدمة لكتاب الله كان اختيار عنوان بحثي الموسوم : (**البِنْيَة الصوتيَة في النصّ القرآنيّ**)، وكان الجهد منصباً على ضرورة بيان الإيقاع الصوتي بمستوياته المختلفة ومدى تأثيره على المتلقّي، فجاء البحث متضمنا لإيقاع مفردة وجملة وفاصلة قرآنية ومدى فاعليته، وقوة جذبه، وأثره في إيصال المعنى الدقيق للآيات والسور.

لا بدَ لي قبل الخوض في ثنايا الموضوعات من بيان معاني الألفاظ التي اشتمل عليها عنوان البحث.

فالبِنية في اللغة: لهيئة التي بُني عليها الشيء (ابن منظور، د.ت: ٨٩)، وهي من بنى يبني بناءً وبنياناً، يقال": بنيت بنية عجيبة ورأيت البنى والبنى فما رأيت أعجب منها ... ومن المجاز بنى على أهله دخل عليها ... وبنى كلاماً شعراً وهذا كلام حسن المباني وبنى على كلامه احتذاه"، (الزمخشري،١٩٩٨: ٧٨-٧٩)، وهي نقيض الهدم، وبناء الكلمة لزوم آخرها من حركة أو سكون (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥: ١٢٦٤)

أمّا في الاصطلاح: بالكسر الفطرة، وهي الجسم المركب (التهانوي، ١٩٩٦: ٣٤٧) والذي يكون لأي مجموعة مؤلفة من العناصر والوحدات الناتجة من اختيار مناسب في مواضع معينة (ليونز، د.ت:٨٧).

أمّا الصوتية فمأخوذة من الصوت، والصوت في اللغة الجَرْسُ والجمع أصوات، يقال: صات يصوت صوتاً وأصات وصوّت به كلّه نادى (ابن منظور، د.ت:٥٧) والصائت الصائح، ورجل صيّت شديد الصوت، وصائت حسن الصوت شديده، وهو جنس لكل ما وَقَرَ في الأذن، يقال هذا صوت زيد (ابن فارس، ١٩٧٩: ٣١٨)

وفي الاصطلاح: هو كيفية قائمة في الهواء يحملها إلى الصماخ (الجرجاني، ١٩٨٣: ١٣٥) وهذه الماهية البديهية من الكيفيات المحسوسة فهي سكون بعد سكون وصِدام بعد صِدام وهي شبيهة بتموج الماء في الحوض، فكلّما حصل التموج حصل الصوت والصوت مستمرّ أيضاً باستمرار الهواء الخارج من الحلق (التهانوي، د.ت: ١٠٩٨-١٠٩٩)، والقرآن: كلام الله المنزّل على نبيه محمّد (ص) معروف.

المبحث الأول

الإيقاع الصوتي في النصّ القرآني

إنّ مّما لا شك فيه أن القرآن الكريم بجميع ما اشتمل عليه من جمال اللفظ وحسن النظم وروعة البيان جزء من إعجاز ذلك الكتاب الخالد الذي حَيّرَ أرباب العقول وأهل الفصاحة والبلاغة والبيان، فكان لوقع كلماته وعباراته الأثر الكبير في نفوس مستمعيه وهذا التأثير والجذب للألفاظ والعبارات عند القدماء هو ما يصطلح عليه اليوم الإيقاع الصوتي للقرآن الكريم.

والإيقاع في اللغة من مادة وقع، يُقال وقع الشيء وقوعاً وأوقعته إيقاعاً، ووقع الطائر على الشجرة (الزمخشري،١٩٩٨: ٣٤٩) وقد يُطلق على الإلهام إيقاعاً، أي إيقاع شيء في قلب السامع تطمئن له نفسه (الحسيني، ١٢٠٥: ٤٦١).

وفي الاصطلاح: هو نقله على النغم في أزمنة محدودة المقادير، (الخوارزمي، د.ت: ٢٦٦) وهو العلّة الحاصلة في الذهن (الكفوي، د.ت: ٢٢٤)

يُعدّ الإيقاع من المكونات الأساسية في البناء القرآنيّ، فمن خلاله يمكن الوصول إلى الغرض الديني، فهو وسيلة ليس إلّا وقد عدّه العلماء بالأخص المحدثون منهم أداة للتأثير في المستمع بغية الحصول على الاستجابة باعتبار أن الإنسان كيان مركب من عقل وعاطفة، فالقرآن كما يخاطب العقل يخاطب العاطفة "بل القوم الاوائل كانوا بمجرد سماع آية من الآيات، ربما يقعون تحت تأثيرها وجذبها، مع أنّها كانت بحسب المعنى والمادة أو اللطائف البديعية اللفظية والمعنوية مشتملة على شيء بارز، ولكنها لاحتوائها على التوازن الخاصّ والرنة المخصوصة، المطابقة مع اللطائف الروحية والنفسانيّة اجتذبت الأكثرين، وهدمت بنيان الكفر والمشركين" (الخميني، ١٣٧٦: ٤٨) إذ إنّ القرآن "ليس للعقل والفكر فحسب بل هو غذاء للروح ايضاً، ويؤكد القرآن كثيرا على الموسيقى الخاصّة به، الموسيقى التي لها تأثير أكثر من كلّ موسيقى أخرى، في إثارة الأحاسيس العميقة والمتعالية للإنسان" (مطهري، د.ت: ٣٣-٣٤)، وعدّه البعض "من الظواهر الاخرى للفصاحة والبلاغة وهو الإيقاع الخاصّ الموجود في القران نفسه" (الشيرازي، ١٤١٢: ٩٨).

الإيقاع على مستوى المفردة:

لقد جاءت معاني القرآن صورًا واضحة المعالم في الفاظه، فللفظ القرآني إيقاع وجانب كبير من سمو التعبير لا يمكن لغيره أن يؤديه "ولقد صارت الفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة فإنّ أحدا من البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع مثل ألفاظ القرآن في كلامه وأن اتفقت له نفس هذه الالفاظ بحروفها ومعانيها، لأنّها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فتُعرف به" (الرافعي، ١٩٩٧: ١٩٢)، أنّ وجود المفردة في مكان معين من القرآن الكريم يُفيد معنىً وله إيقاع لا يمكن أن يؤديه غيرها، وربما لا تحسن في كلام قط غير القرآن وفي ذلك يقول الرافعي: إنّ "في القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعه منه، وهي كلمة (**ضيزى**) من قوله تعالى: **(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ)** (سورة النجم، الآية: ٢٢).

مع ذلك فإنّ حُسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو اوردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فكانت غرابة اللفظ أشدّ الاشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التي انكرها)) (الرافعي،١٩٩٧ : ١٩٦) ، كذلك لفظ **(أعهد)** في قوله تعالى : "۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ٦١" (سورة يس : الآيات ٦٠-٦١) فقد وردت هذه اللفظة بحروف ذات مخارج متقاربة وهي بهذه الحروف في منزلة من الفصاحة والبيان والإعجاز لا تُغني عنها أيّ لفظة غيرها لأنّها دلّت بجرسها المتثاقل الشاقّ على ثقل العهد الملقى على بني آدم ومشقته عليهم ؛ إذ أنّ ترك الشيطان والتوجه الى الله تعالى في غاية العسر والمشقة على الإنسان (الرازي، ١٩٩٥: د. ص)، ولاشكّ في "أن أيّ تغير في الألفاظ ونظامها أو في تنسيق العبارات وترتيبها أو في طريقة تناول الموضوع والسير فيه يؤثر في صورتها التي ينقلها التعبير إلى الآخرين، ويؤثر تبعا لذلك في طبيعة الأثر الذي تتركه في مشاعرهم" (قطب، ٢٠٠٣: ٣٢)، فلفظ **(يصطرخون)** في قوله تعالى : "وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ" (سورة فاطر، الآية: ٣٦-٣٧)؛ فيُخيل لك جرسها الغليظ، غلظ العذاب وغلظ الصراخ المختلط وهو المنبعث من تلك الحناجر المكتظّة بالأصوات الخشنة، كما ترى فيها صورة الإهمال لهذا الاصطراخ، وتلمح من وراء ذلك كلّ صور العذاب الذي هم فيه (قطب،٢٠٠٣ :٩٣).

وإنّ كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم قد تحسّ بإيقاعها وثقلها وهي مع ذلك كلّ متجانس ومتألف مع ما قبلها وبعدها في نظام وترتيب في غاية الدقّة والجمال حتّى نراها نسيجاً واحدا لا يكون فيه مجال للتقديم والتأخير غير حاله الذي وجد عليه فتأمل

قوله تعالى: "فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ" (سورة الاعراف، الآية: ١٣٣) فإنّها اسماءٍخمس أخفها في اللفظ (الطوفان والجراد والدم) واثقلها (القُمّلَ والضفادع) فقدم الطوفان ، حتّى يأنس اللسان بخفتها ثمّ الجراد وكذلك فيها مد، ثمّ جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفها في اللسان وأبعدهما في الصوت ، فكان الغنة فيه، ثمّ جيء بلفظ) الدم (آخراً، وهي أخف الخمسة واقلها حروفاً ليسوغ فيها ويستقيم بها ذوق النظم، ويتمّ بها الإعجاز في التركيب، ثمّ يتحدث الرافعي عن الاسماء الخمسة في الآية الكريمة قائلا: إنك مهما قلبتها لا ترى لها فصاحة إلّا بهذا الوضع ولو قدّمت و أخرت لبادرك التهافت والتعثر، ثمّ اخرجت هذه الألفاظ مُضطربة في النطق ولا يظهر أخفها من أثقلها (الرافعي،١٩٩٧ : ٢٠٠) .

ونجد في غير موضع الشِدّة يستعمل القرآن الكريم المفردات ذات الأصوات اللينة التي تمتاز بسهولتها ورقتها وبعدها عن الشدة كما في آيات الدعاء؛ وذلك لخصوصية الدعاء في إحضار القلب وحصول الخشوع والاطمئنان والارتياح النفسي في حضرة المولى الكريم، وهو بهذا يحتاج إلى ألفاظ ذات أصوات لينة ومخارج سهلة لحصول المطلوب، ومن الأمثلة على هدوء الإيقاع وانسيابيته قوله تعالى : "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ٢٨٦"(سورة البقرة، الآية: ٢٨٦) فهذا الدعاء الخاشع المتناغم والمتلائم مع موقف الرجاء تراه يمتاز بهدوئه الإيقاعي المتأني مع طول عباراته وسهولة الفاظه وهذا ما يناسب اسلوب الدعاء وينسجم معه (زيارة، ٢٠١٣: ٢٣٢)، كذلك قوله تعالى: "رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ١٩٤" (سورة آل عمران، الآية: ١٩٣-١٩٤)، فإنّ الإيقاع في هذا الدعاء "هادئ منساب يتمتع بموسيقية عالية وفرتها كثرة ترداد أصوات المد واستطالتها مكونة بعداً نَغمياً وموسيقياً يتناسب تماماً مع الهدوء الإيقاعي في مشهد الدعاء هذا" (زيارة،٢٠١٣ : ٢٣٣)

الإيقاع على مستوى الجملة:

بعد ذكر المفردة القرآنيّة وبيان مالها من أثر إيقاعي مميز، نأتي إلى جانب آخر يتجلى فيه الإيقاع الصوتيّ ألا وهو الجملة القرآنيّة، إذ يبرز الإيقاع الصوتي فيها بشكل واضح "فالجملة هي مظهر الكلام وهي الصورة النفيسة للتأليف الطبيعي" (الرافعي،١٩٩٧ :٢٠١)، وهذه الجمل على كثرتها وتعدد موضوعاتها وشموليتها واحتوائها على الألفاظ المختلفة "لا تراها إلّا متفقة وتفترق ولا تراها إلّا مجتمعة وتذهب في طبقات البيان وتنتقل من منازل البلاغة وأنت لا تعرف منها إلّا روحها تداخلك بالطرب، وتشرب قلبك الروعة، وتنتزع من نفسك حسن الاختلاف الذي طالما تدبرت به سائر الكلام" (الرافعي،١٩٩٧ : ٢٠٥) فمن يتأمل قول الرافعي يجد فيه اشارة واضحة إلى امتاع الجمل القرآنية ولا سيما قوله وأنت لا تعرف منها إلّا روحاً تداخلك بالطرب، وإنّ القرآن الكريم عندما قرئ على العربي رأى حروفه في كلماته وكلماته في جمله، الحاناً لغوية رائعة كأن لإئتلافها وتناسبها قطعة واحدة ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفى طباع البلغاء بعد الإسلام وتولى تربية الذوق الموسيقي فيهم (الرافعي،١٩٩٧ : ١٨٢-١٨٣)، وهل تسمع في غير القرآن الكريم جملاً تحمل في مدلولها ما يقنع العقل ويمتع العاطفة في وقت واحد، وهذا ما بينه الزرقاني في تفسير قوله

تعالى: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ٣٩" (سورة فصلت، الآية : ٣٩)، وفي قوله تعالى : "أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ١١" (سورة ق، الآية :٦-١١) ، فإنّ هذا الأسلوب البارع والجميل الذي أقنع عقل الإنسان وأمتع عاطفته في

آن واحد حتّى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة في مقدمات الدليل إذ قال في الآية الأولى: "إنّ الذي احياها لمحيي الموتى، وفي الآية الأخيرة كذلك الخروج فيال الجمال الساحر وبالإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات". (الزرقاني، د.ت: ٣١٤)

هذا وقد يُلاحظ الإيقاع في جمل النصّ القرآنيّ بسبب أصوات المفردات ووجود أحرف المد المتوالية كما في قوله تعالى : ""۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ٤٣" (سورة هود، الآية: ٤١-٤٣)

ذلك الجو المفعم بالرعب والهول والفزع، والذي ينسجم تمام الانسجام مع إيقاع هذا المقطع القرآني اذ "ان التكوين الموسيقي للجملة ليذهب طولاً وعرضاً عمقاً وارتفاعاً ليشترك في رسم الهول العميق العريض، والمدّات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآيات تُساعد في إكمال الإيقاع وتكونية، واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق" (قطب،٢٠٠٣ : ١١٣) فالتكوين الموسيقي للجملة هو أحد العناصر المهمة التي ساعدت في إكمال الإيقاع واتساقه كما أنّ لجمل القرآن حُسناً ووقعاً على المتلقي قارئاً كان أو سامعاً، وهذا الحسن والإيقاع فيه بسبب حُسن النظم في كلماته وجمله كما في قوله تعالى : "إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا٥" (سورة الزلزلة، الآية : ١-٥) ؛ ففي هذه الجمل هزّة عنيفة للقلوب العاقلة ، هزّة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، المستمر من اصوات المفردات داخل الجمل المكونة للآيات(قطب، ١٤١٢: ٣٩٥٤)، ومن الأمثلة الأخرى على إيقاع الجملة القرآنيّة ما ذكره الدكتور عبد الواحد زيارة من تحليل في الإيقاع الجميل في جمل سورة الرحمن، فلتبرك بذكر بعض آياتها ، قال تعالى : "ٱلرَّحۡمَٰنُ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ٦" (سورة الرحمن، الآية :١-٦) فهذه السورة مشتملة على جمل "يمكن القول بأنّها منظومة موسيقية رفيعة تمتاز بإيقاعها الموسيقي الرخيّ المنساب ... متسقة من الناحية الصوتية والموسيقية من مطلعها إلى ختامها فلا نجد تنافر بين أصواتها" (زيارة،٢٠١٣ : ١٨٩).

المبحث الثاني

الفاصلة لغةً: وردت مادة (فصل) دالّة على معان أهمها: "الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل في النظم، وعقد مفصل، أي جعل بين كلّ لؤلؤتين خرزة، والفصل القضاء بين الحق والباطل" (ابن منظور، د.ت: ٥٢١-٥٢٣)

والفصل: "المسافة بين الشيئين والحاجز بين الشيئين وملتقى كلّ عظمين في الجسد" (المعجم الوسيط، د.ت: ٦٩١)
ويُقال: "فَصَل بينهما يفصل فصلاً فانفصل والمفصل كلّ ملتقى عظمين من الجسد والفاصلة الخرزة التي تفصل بين خرزتين في النظام.... وقوله تعالى: هذا يوم الفصل". (ابن سيدة، ٢٠٠٠: ٣٢٩)
الفاصلة اصطلاحا: إنّ الحروف المؤتلفة في موضع معين من الكلام، وتؤدي أغراضاً جمالية وبيانية ولا يتمّ المعنى إلّا من خلالها هي الفواصل، وقد ذكر العلماء عدّة تعريفات لها منها قول الرماني بأنّها: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني" (الرمانيّ، ١٩٧٦: ٩٧)، وعرّفها الدانيّ: (ت ٤٤٤هـ) بـ" الكلام التام المنفصل مّما بعده" (الدانيّ، ١٩٩٤: ١٢٦)، وعرّفها الزركشيّ : (ت ٧٩٤هـ) وتابعه السيوطيّ (ت ٩١١ هـ): " كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينه السجع" (الزركشيّ ،١٩٥٧ : ٥٣، السيوطيّ، د.ت: ٣٣٢).
وعرّفها القطّان (ت١٤٢٠هـ) تعريفاً مشابهاً لتعريف الداني مضيفاً بأنّها سُمّيت" بذلك لأنّ الكلام يفصل عندها" (القطان، ٢٠٠٠، ١٥٣) ولعلّ مصطلح الفاصلة مُشتق من ألفاظ وردت في القرآن الكريم (عباس، د.ت: ٣١٧) نحو: قوله تعالى:

"ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ"(سورة الأعراف، الآية ١٣٣) وقوله: "وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ٥٢" (سورة الاعراف، الآية ٥٢) إنّ في الفاصلة القرآنيّة جانب جمالي يُجعل من أبرز وظائفها، وآية ذلك أنّ أصواتها أجمل الأصوات، ذلك لاتصافها بـ(الغنة) وهي (النون والميم) لإظهار الجانب الفني الحسن لنهاية رحلة صوتية تتخللها امواج تطرب الأذن لسماعها فاذا بالموجة الأخيرة تكون أكثر وقعًا لذلك جاء الاهتمام بها كأنّها دار استراحة (عباس، د.ت: ٣٢٠).

موسيقى الفواصل:

إنّ للفاصلة القرآنية إيقاعاً موسيقياً ذو تأثير وجاذبية وهو متناسب مع موضوعه، ويؤدي أغراضاً جماليّة و بيانيّة "فالموسيقى القرآنيّة إشعاعاً للنظم الخاصّ في كلّ موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كماهي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة" (قطب،٢٠٠٣ : ١٠٢) وبهذا تُعدّ الفاصلة أحد المكونات الأساسية في البناء القرآني، وعنصر مهم في الإيقاع الموسيقي فيه إذ يتألف الإيقاع الموسيقي في القرآن من عناصر هي مخارج الحروف في الكلمة الواحدة وتناسق الإيقاع بين كلمات الفقرة واتجاهات المدّ في الكلمات ونهاية الفاصلة، وحروف الفاصلة ذاتها (قطب، ١٤١٢ : ٢٠٣٩)، وهذا الإيقاع الداخلي في سياق النص أكثر ما يحسّه التالي لكتاب الله تعالى في السور القصار والفواصل السريعة و مواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ثمّ يتوارى قليلاً أو كثيراً في السور الطوال ، ولكنه ملحوظ على كلّ حال في بناء النظم القرآني، وها نحن نتلو سورة النجم مثلاً قوله تعالى : "وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ٧" ... الى قوله تعالى "تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ٢٢" (سورة النجم، الآية:١-٧-٢٢) فالقارئ أو السامع لهذه السورة يُلاحظ أنّ آياتها تنتهي بفواصل متساوية في الوزن تقريباً في نظام دقيق لا يشبههُ كلام في نثر ولا نظم غير الموجود في القرآن نفسه، إذ أنّ فواصلها تنتهي بالألف مّما جعلها ذات إيقاع موسيقي مميز (قطب، ٢٠٠٣: ١٠٣-١٠٤) وتبرز موسيقى الفاصلة القرآنية في الوقف لكي تطرب الأُذن لسماعها، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون كقوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ٢٥ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ٢٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ٢٧" (سورة الرعد، الآية: ٢٥-٢٧)، فيرى أهل الاختصاص أنّ في الآيات جمع الموقف بين (الدار) المجرور (ومتاع) المنوّن و(أناب) المنصوب (عباس، د.ت: ٣١٨) .

النتائج

- إنّ القران الكريم معجز بكلّ ما فيه، مُعجز بألفاظه وعبارته وطريقة نظمها وترتيبها، معجز بطريقة تكرار تلك المفردات وفي فواصله، فكان في ذلك غذاء للروح والعقل في آن واحد.
- إنّ لجمال اللفظ في موضعه، ودقة العبارة جانب إعجازي بياني لا يقدر عليه البشر.
- ادى الإيقاع الصوتي للمفردة، والنظم الفريد للعبارة الغرض النفسي والديني في آن واحد.
-شكّل صوت المفردة وإيقاعها الروحي، ثمّ تناغم هذه الأصوات في عباراته المنسابة كأنها ايقونة موسيقية قوة جذب للعربي قديماً وحديثاً.
- إنّ القران بنظمه الفريد وجمال أصوات الفاظه وإيقاعه المميز شكّل وحدة موضوعية إذ لم تكن المفردة والعبارة بمعزل عن تأثير أصواتها، فقد خاطب القران حاسة الوجدان الدينية باستعمال لغة الجمال الفنية.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١. اساس البلاغة، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٩- ١٩٩٨.

٢. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، أمام جامعة الأزهر، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤. البرهان في علوم القرآن، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط:١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، الناشر: دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صورته دار المعارف، بيروت- لبنان، عدد الاجزاء:٤.

٥. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمر الداني (ت٤٤٤هـ) المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والقرآن، الكويت، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، عدد الاجزاء:١.

٦. تاج العروس في جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ابو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.

٨. التعرف على القرآن، الشهيد مرتضى مطهري، ترجمة: ناظم الشيرواني، الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي قسم العلاقات الدولية.

٩. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير، مفاتيح الغيب)، محمد الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(ت٦٠٦هـ)، اقدم له الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠. تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني، المحقق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني (قدس سره) ط:١، آبان ١٣٧٦ جمادي الثاني ١٤١٨- عدد الأجزاء: ٥، مكتبة يعسوب الدين (عليه السلام) الإلكترونية.

١١. جمال الجرس القرآني: د. تحسين فاضل عباس، مجلة المصباح، العدد١٩.

١٢. سحر النص، قراءة في بنية الإيقاع القرآني: د. عبد الواحد زيارة: ط:١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، طبع في مطابع بيروت الحديثة، الفيحاء للطباعة والتوزيع.

١٣. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشازلي (ت١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢هـ.

١٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) تح: مكتب التراث مؤسسة الرسالة، بأشراف محمد نعيم العرسوقي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٥. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ابو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ) تح: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي(ت٧١١هـ) الناشر: دار صادر بيروت لبنان، عدد الاجزاء: ١٠، ط: ١.

١٨. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، الناشر: دار النهضة العربية، ط:١.

١٩. مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م عدد الاجزاء:١.

٢٠. المحكم والمحيط الاعظم، ابو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار العلمية بيروت، ط:١ – ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الاجزاء: ١١.

٢١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٢٢. مفاتيح العلوم، محمد بن احمد بن يوسف، ابو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت٣٨٧هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتب العربية، ط : ٢.

٢٣. مقاييس اللغة، احمد ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، عدد الاجزاء:٦.

٢٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني(ت١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى الباري الحلبي وشركاؤه، ط:٣.

٢٥. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي الى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، لبنان بيروت، ط:١، ١٩٩٦.

٢٦. نفحات القرآن، سماحة آية الله، العظمى مكارم ناصر الشيرازي، تاريخ النشر: ١٤١٢هـ، المطبعة: سليمان زادة، الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب، إيران قم، ط:١.

٢٧. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ط:٨، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: دار الشروق.

٢٨. النكت في اعجاز القرآن، ابو الحسن الرماني، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن] سلسلة ذخائر العرب(١٦) [، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ابو الحسن الرماني المعتزلي (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول، الناشر: دار المعارف، ط:٣، ١٩٧٦، عدد الاجزاء:١.